ظاهـــــــــرة التبئير في القــرآن الكريم ودورها في الدلالة البلاغية

أ. آمنة سليمان القمودي ـ كلية التربية الزاوية ـ جامعة الزاوية .

توطئـــــــــــة :

يُعَدّ التبئير من الأســاليب البلاغية الفعّالة في القرآن الكريم، حيث يُستخدم لتوجيه الانتباه إلى معانٍ معينة، مما يساهم في تعميق الفهم وتيسير تأويل النصوص. يُشير التبئير إلى إبراز بعض العناصر في النصوص بما يتيح للمتلقي التركيز عليها، مما يزيد من دلالة المعاني ويُعزز الرسائل التي يُراد إيصالها.

في هذا البحث، سيتم تناول مفهوم التبئير، أنواعه، وأهميته في القــرآن الكريم، مع تحليل لأمثلة مُعَينة تُظهر كيف يُساهم في إبراز المعاني ودلالاتها. كما سيتناول البحث تأثير التبئير على فهم النصوص القرآنية ودوره في التأثير على الفكر الديني والثقافي. من خلال هذا التحليل، نسعى إلى استكشاف كيف يمكن لتقنيات التبئير أن تُثري القراءة والتفسير وتفتح آفاقًا جديدة لفهم معاني القرآن.

Emphasis is considered one of the effective rhetorical techniques in the Quran, used to draw attention to specific meanings, thereby deepening understanding and facilitating the interpretation of texts. It refers to highlighting certain elements in the texts, allowing the recipient to focus on them, which enhances the significance of meanings and strengthens the messages intended to be conveyed.

This study will address the concept of emphasis, its types, and its importance in the Quran, along with an analysis of specific examples that illustrate how it contributes to highlighting meanings and their implications. Additionally, the research will examine the impact of emphasis on understanding Quranic texts and its role in influencing religious and cultural thought. Through this analysis, we aim to explore how techniques of emphasis can enrich reading and interpretation, opening new horizons for understanding the meanings of the Quran.

نتيجة إدراكنا لأهم مكونات النص السردي وهو الراوي حيث حظي مفهومه ووظيفته وتقنياته باهتمام واسع نلحظه في كتب النقد التي شغل الراوي حيزا كبيرا فيها ، فالراوي هو:" الشخص الذي يروي القصة أو هو الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظة ، وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف الأماكن وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها ، وبالتالي يمكن القول بأنه الواسطة بين مادة القصة والمتلقي وله حضور فاعل ؛ لأنه يقوم بصياغة تلك المادة " [1]، وهو كذلك " الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء أكانت حقيقية أم متخيلة ولا يشترط أن يكون الراوي اسما معينا فقد يكتفي بأن يتقنع بصوت أو يستعين بضمير ما يصوغ بوساطته المروي وتتجه العناية السردية إلى هذا المكون بوصفه منتجا للمروي ، ويعنى بروايته تجاه العالم المتخيل الذي يكونه السرد" [2] .

كل هذه الطرائق والأشكال لمواقع الراوي عوامل مهمة لها تأثير بالغ في إنتاج المادة السردية ، وفي العلاقات التي تربط الراوي بباقي مكونات النص السردي كالأحداث التي يرويها والشخصيات الراوية وما يتصل بها من الزمان والمكان ، كما يؤثر بشكل كبير في تكوين المنظر المتخيل لدى متلقيها ، فالراوي لايقف في مكانه عبثا ، بل هناك دلالات من وراء انتقالات الراوي في المكان ، لهذا أظهرت تقنيات تهتم براسة هذه المسألة منها مصطلح (وجهة النظــر) أو (الرؤيــة)، وغيرها (المنظور ، التبئير ، البؤرة ، التحفيز ، وحصر المجال) وكل هذه المصطلحات تختلف من حيث اللفظ ولكنها تشــترك اصطلاحًا ، على الأقل في الإطار الدلالي العام ، وأنها جميعًا تتصل بالموقع الذي يحتله الــراوي من الأحــداث ، زيادة على المادة الســردية التي يتكلف بروايتها [3]

فالتبئير يستقطب مفهوم وجهة النّظر التي تتمحور حــول (الـراوي) ، وعلاقتــه بالوقائع المروية على (المروي له) فوجهة النظــر " تشمل الهدف من السرد والكيفية التي يقوم بها ، وقد يضيق ليعبر عن الموقع الذي اتخذه السارد زمنيًا ومكانيًّا [4]، وبهذا يصبح طرفا التواصل (الراوي ، والمروي له) شديدي التقارب ببعض وذلك عبر العلاقات المتبادلة التي تجمعهما معًا، وذلك لكون (المروي له) الطرف الثاني ، في عملية الاتصال فـ" هو من يتوجه إليه الراوي بالسرد ، وهو شخصية من داخل النص نفسه ،ومن مستوى السرد نفسه" [5] ، وبذلك يستحوذ السارد _الراوي_ على مفاتيح توجيه عملية تشكيل المروي الذي هو " كل ما يصدر عن الراوي ، وينتظم

لتشــكيل مجموع الأحداث تقترن بأشخاص ، ويوطــؤها فضاء من الزمان والمكان " [6]، وهو ما "يتضمن الشّخصيات ومن الذي تجــري فيه أفعال الشخصيات والفضاء" [7] ، فبهذا الانسجام القائم بين " الراوي والمروي له" تتحدد الجوانب الفنية الجمالية (للمروي) مما يفسح المجال لنمو علاقات قوية وحتمية بينهما.

أما الرؤية فهي " الطريقة التي اعتبر بها الراوي الأحداث عند تقديمها ، ويمكن أن تنضوي تحت كلمة (الأحداث) هنا ، كل عناصر بناء القصة وأبرزها الخلفية والزمانية والمكانية لكل الأحداث ، وطبيعة الشخصيات التي تكونها أو تكون على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بها ، فالرؤية تتجسد من خلال منظور الراوي لمادة القصة ، فهي تخضع لإرادته ولموقفه [8].

ونتيجة لذلك فإن موقع الراوي من الشخصية في غاية الأهمية لكون الشخصية تمثل جانبا مهما في الخطاب ، لذلك كانت الشخصية وسيطا مهما بين الراوي والمروي له ، إذا لم تكن هي واحدا منهما ، فالشخصية " مجموع ما يقال عنها بوساطة جمل متفرقة في النص أو بوساطة تصريحاتها أقوالها وسلوكها ، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته [9]، وهي محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية يسعى إليها" [10]

ونظرًا لكثرة الدراسات في ميدان التبئير وتشعبها واستفائها في دراسات متخصصة أخرى ، فإننا سنركز الحديث حول ما طالعنا به (جنيت) في هذا المجال _ لاسيما فيما يتعلق منها بتمييزه الدقيق بين (من تكلم ومن يرى) الذي أورده في كتابه خطاب الكتابة .

فمفهوم التبئير عنده هو تقليص حقل الرؤية عند الراوي وحصر المعلومات ، وسمي هذا الحصر بالتبئير لأن السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتخصره ، والتبئير سمة أساسية من سمات المنظور السردي ، ولكنه لا ينحصر في إطار النظر ، وإن كان النظر أهم مصادر التبئير فقد يكون بالسمع أيضا فالمقصود بالتبئير هو حصر معلومات الراوي ،ومن ثم القارئ حول ما يجري في الحكاية [11]

أولا- برانـــــي الحكاية : ويتم فيه وصف الشخصيات بطريقة موضوعية ومن الخارج بحيث لا يذكر إلا ما يراه المشاهد عليها ، وقد يكون خارجيًّا أو داخليًّا :

أ- الخارجي ويبقـــى فيه الراوي خارج الحكي ، وذلك نحو قوله - تعالى - : ﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ**

بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [12] ، كان النّاس أمة واحدة متفقين على الفطرة فاختلفوا فبعث الله إليهم النبيين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ، فالراوي في هذا النص غير ملموس بالمرة ، على الرغم من أن النص عرض من وجهة نظره هو لا من وجهة نظر سواه [13] ، فهو الذي يرى كل شيء ولا أحد يراه لهذا كان ناظما خارجيا بوصفه غير مشارك بالأحداث .

وبسبب الترابط الوثيق بين الرؤية والصوت فإن هذا الصوت هو الذي يخلق الأحداث المركزية الموجودة في هذا النص ، وذلك عبر بروزه في المبئر ، وكذلك للمبأر أيضًا [14] ، وبهذا يصير من الممكن لدينا تقسيم هذا النص صوتيًا إلى ثلاثة تجمعات :

الأول ـ خارجـــــي : المتمثل بصوت الناظم الخارجي المجرد من أي صوت آخر ، فيلحظ تجسده للوجهة نظر الراوي ـ المبئر ـ بوضوح حيث يتبنى جانبا معينا من جانبي الصـــراع ، الأمر الذي يخرجه من الحيادية ، عبر الأحكام المبثوثة بين جنبات النص ، وذلك خلال أعقاب كل عبارة تبدو أول وهلة حيادية ، بحكم ما يسلبها تلك الصفة وهي في قوله - تعالى - :﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ** ﴾ أما ما يخص الجانب الذي يبرز فيه صوت الراوي بقـوة فهو في قوله – تعالـى - : ﴿ **بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ** ﴾ ... ﴿ **مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ ، فمعنى الآية هنا وما اختلف في الكتاب إلا الذين أعطوه ، أي : عكسوا الأمر فجعلوا ما نزل الله لإزالة الخلاف سببًا لاستحكامه تحاسدا بينهم فهدى الله المؤمنين للحق.(15)

فالفارق بين الجانبين جلي ، عبر غياب الراوي في الجانب السردي الأمر الذي يجعله على طرف النقيض من الجانب الآخر وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ **مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ الذي يتعطل فيه السرد نسبيا قبالة بروز صوت الراوي والسرد [16]

فكلما تعطل السرد برز صوت الراوي ، وكلما تتابع السرد انزوى صوت الراوي ،والقصد منه تحريك المتلقي أثناء عملية القراءة ، حيث يتجسد الحدث أمامه في مشهد

يكاد يراه بأم عينه ، فتتضح الصور أمامه وتتجسم الأحداث ، حتى وإن كان الصوت غائبا ، فثمة رؤية دعت إلى غياب الصوت.

أما الصوت الثاني فينتج عن صوت الناظم المشارك في أحداث القصة ، فهو فاعل ذاتي باعتباره الشخصية المركزية تتولى عملية السرد والرصد ، ويلحظ كذلك اختلاط صوت الناظم بصوت الشخصية ،وذلك في قوله تعالى : ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ ، ويرى بعض الباحثين أن في هذا المثل استفهام واد يقر حقيقة ما ولا ويطلبها من المخاطب [17]، وعلى العكس من ذلك نلحظ حقيقة وجود استفهامين : الأول : صدرت به الآية ، والثاني : ختمت به .

أما الأول: وهو ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ**﴾ ، فرصد دور الهمزة يلحظ في تخفيف حدة الانتقادات ، ويجعلها سلسة ومقبولة ، وذلك مما يتميز به من خصائص لسانيــة وطاقات التأثير الفني ، فهي تُعد من أقــدر الأدوات على جذب المحاور إلى بعضها ، فيخفف الانعطاف ، وتقرب المسافة بين المحور المنتقل منه والمحور المنتقل إليه [18]،

أما الثانـــي : ففي قوله: ﴿ **مَتَىٰ نَصْـــرُ ٱللَّهِ**﴾، و(متى) تدل على الزمن ؛ ولكنها أفادت استبطاء السياق ، فأنبأ بظهور المفاجئ للمروي له ، وذلك عن طريق توجيه الكلام إليه بشكل مباشـــر ، ذلك أن المؤمنين لن يدخلوا الجنة إلا بعد الابتلاء والتمحيص ، وأنهم قد أزعجوا ومستهم البأساء والضـــراء ، وزلزلوا حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم على صبره ورباطة جأشه ، والذين آمنوا معه الصفوة ، استطالوا العذاب واستبطأوا النصر ، وبهذا السياق يتضح معنى الاستبطاء [19] ، ومن لا فت هنا في قوله – تعالى - : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم** ﴾ ، فيلحظ ظهور الـرّاوي بشكل مباشر في الخطاب ، فيعلو صوته فوق كل الأصوات ، فلا يسمع إلا صوته ولا ترى الأحداث إلا من خلاله ، وهذا ما نلحظه في الخطاب التي توجه فيها ذاك الراوي إلى المروي له بشكل مباشر .

أما الصوت الثالث : فتمثل في صوت الرسول- صلى الله عليه وسلم - والذين آمنوا ، وذلك في تساؤلهم عن نصر الله في قوله - تعالى - : ﴿ **مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ لتناهي الشـــدّة واستطالة المدة ، بحيث تقطعت حبال الصبر فأجيبوا من قبل الله - جل جلاله ، ألا إن نصر الله قريب .

وفي هذا الحضور للمروي له نلحظ فكرة محورية شديدة الاختزال والتكثيف المبثوثة في ثنايا الخطاب ، وهي تنبه للمبتلين في الأرض أن يثبتوا ويصبروا على ما أصابهم فلهم في نبيينا وإخوانه من الأنبياء الأسوة الحسنة في الصبر على الشدائد [20] ، ففي هذا التساؤل نلمس الإجابة بأن النصر حليفهم مهما طالت ساعة إعلانه وكذلك لتتبين لهم حقيقة مهمة وهي أن كل أصحاب الرسالات السماوية السابقة لم يكن طريق الدعوة إلى الله أمامهم معبدًا ممهدًا ، بل جاهدوا وقاتلوا وقتلوا وعذبوا حتى أتى نصر الله .

ب ـ الدّاخلـــــي : والمبئر فيه شخصية من شخصيات العالم المحكي ، يقول – تعالى- : ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾

إن السارد في النص القرآني الكريم ليس ذاتيًّا ولا محايدًا ؛ بل هو السارد العليم الحاضر في كل أجزاء النص ، كحضوره في كل أجزاء الكون ، فهو بالضرورة يدرك أكثر ما تدركه (الشخصية) ، ففي هذا المثل تم التبئير بصورة تبادلية بين الراوي والمخاطب ـ الشخصية ـ ، وهذا التبادل قد تم منذ اللفظة الأولى في المثل بصيغة مباشرة في قوله - تعالى - : ﴿ **أَيَـــوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ** ﴾، وهنا يمكننا الوقوف على إشكالية (الراوي) هل هو موجود ؟ أو خفي عن الأنظار ؟ يبدو أن الراوي في هـــذا النص كما يوحي الحوار بينه وبين الشخصية ، راوٍ خفي عن الأنظار يحرك خيوط النص من مكان ما ، دونما يظهر جهرة للعيان ، ومن هنا تكمن المفارقة التبئيرية داخل النص ، حيث " يســعى القارئ من خلال استيعابه للخريطة إلى أن يشيد المعمار بكامل معالمه وتفاصيله في جدلية مليئة بالتوقعات والاحباطات ، إذ يعمل المؤلف باتجاه صياغة مقصد بينما يعمل القارئ باتجاه صياغة معنى ، وليس من شروط التواصل عبر النص أن يتطابق المقصد والمعنى تطابقًا تامًا ، فدرجة الاقتراب والتباعد بين المقصد والمعنى محكومة ببنية الفراغات في النص " [21]

فكلما تقدم القارئ في عملية القراءة انحصر في العبارة الخاصة بطرح التســـاؤل ﴿**أَن تَكُونَ**﴾ ؟ وما تشغله من مساحة في ذهن القارئ إذ" تجري عملية ملء الفراغات لاسترجاع الأجزاء الغائبة استهداء بالأجزاء الحاضرة ، وبذلك تكون الفراغات عملا جوهريا في نقل القارئ من خانة الاستهلاك والمشاهدة إلى خانة الانتـــاج والمشاركـــة " [22]

فالتتابع السردي أثره في ذلك ؛ لأن عدم توقف السرد واستمراره يقتضي تناميا متسلسلا للحدث وهو ما يشغل الأذهان بمراقبة هذا المسار وتطويره ، وإرجاء أي شيء سواه جانبا ، الأمر الذي يحصر التبئيرية دون سواها ، فالحدث وتناميه هو الأهم بالدرجة الأساس.

فيكون بذلك متحكمًا بِالكمّ بدرجة المعلومات التي يبثها تبعا لدرجة قربه أو بعده عن الحدث أو الشخصية المشاركة في الحدث [23] .

فالقرب له ميزة وفيه خسائر ، والبعد له ميزة وفيه خسائر أيضًا ، فالقرب يعرض مناظر من الموقف ، ولكن ميزته تكمن في إبراز التفاصيل ،أما البعد فإنه يتضمن ميزة الكلية والشمول ، ولكن يكون على حساب الجزيئات ، فهي غير واضحة المعالم

فنحن هنا نرصد غيابًا مبطنًا لعنصر الشخصية ، فليس ثمة شخصية معينة تقوم بالحدث ، لسببين :

الأول ـ الإطلاق الذي يحمله لفظ (أحدكم) ، الذي يجعله ينطبق على كل قارئ يشعر أنه المعني به ، الأمر الذي يوحد بين القارئ والمروي له ،والمخاطب في آن واحد.

السبب الثاني_ فتمثل في قوله تعالى : ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ** ﴾ ، فكان دور الشخصية في الحدث دورًا سلبيًا ، فبدلًا من أن تكون هي المحرك للحدث ، كانت محكومة به ليس إلا ، لتهوي على حين غفلة إلى منتهى الشقاء وذلك في قوله - تعالى -: ﴿**وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ** ﴾ ، فهنا نطرح سؤالًا ونقول : أي نوع من التبئير نواجه في هذه الآية ، ما دمنا نلمس غيابًا مزدوجًا لصوتي الشخصية والراوي معًا ؟

نقول : إن غياب الراوي لا يعني غياب رؤيته ، فالراوي واحد من شخوص القصة غير المنظورة ، إلا أنه قد ينتمي إلى عالم غير العالم الذي يتحرك فيه شخصياته ، ويقوم بوظائف تختلف عن وظيفتها ، ويسمح له بالحركة في أزمنة وأماكن أكثر اتساعًا من أزمنتها وأمكنتها ، ففي حين تقوم الشخصية بدور الأفعال والأقوال والأفكار التي تدير دفة العالم المصور ، فإن دور الراوي يتجاوز ذلك إلى عرض هذا العالم كله من زاوية معينة [24].

فبهذا يكون الراوي متواجدا بشكل مباشر في الخطاب الذي حدد رؤيته بلفــظ : ﴿ **أَيَــوَدُّ أَحَدُكُمْ** ﴾ ، خلافا لما كانت عليه النظرة الأولى للنص، آنفة الذكر التي أوهمت بانفصال الراوي غير المبئر ، وبذلك تكون الرواية لم تخرج عن حدود الراوي البتة ،

فالراوي يعي ويرصد ما تفعله الشخصية وما تقوله ، وما تفكر فيه وتتناجى به فهو موقع المتكلم الذي " ينطق ويقول من منطلق علاقته بموضوع كلامه ، أي من منطلق رؤيته ، أو حاجته أو تقديره لهذا الموضوع ومن ثم فهو أي متكلم منحاز بهذا التعبير لما يراه أو يحسه أو يقدره " [25] وما يؤكد ذلك البروز المفاجئ لصوت الراوي بهذا انتهاء المثل عند قوله : ﴿ **كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ ، فيعلو صوته على جميع الأصوات فلا يرى إلا صورته ، ولا يسمع إلا صوته.

وعلى هذا يمكن القول بأن المثل القرآني يختصر العبارة ويكثف الدلالة ، وهذه الميزة لا تجدها في الأمثال غير القرآنية فمن ميزة المثل القرآني مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، فالعليم ليس كغير العليم ، وبهذا يتنوع ويتشكل حسب مخاطبة المتلقي وذلك بما يتميز به من تصور للحركة الملزمة لحياة الإنسان في منظومة سردية تبطيء وتسرع تلك المشاهد وذلك بحسب ما يتطلبه السياق وما تقتضيه الدلالة كاشفة محل اهتمام وتركيز المتلقي .

ثانيا ـ جوانـــي الحكاية : وفيه يكون المبئر مشتركاً ومنفعلًا بالأحداث أي : متأثرا مباشـــرا ، وهو إما فاعل داخلي أو ذاتي أو كلاهما في النص الآتـــي : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ إِنِّيٓ إِذاً لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [27]

من خـــلال التدبر في القرآن الكريم يتضح أنه ينوع التراكيب بحسب ما تقتضيه الدلالة ، وما يتطلبه السياق فقد استخدم أسلوب السرد والقص ، كما استخدم أسلوب

ضرب المثل ، فكانت الأمثال الحكائية نصيبًا أكبر فيه ، وهو ما يعــزز الغاية من ضرب المثل من خلال استحضار المروي له ، ومخاطبته بشكل مباشر.

فقد ورد في الآيات المتقدمة مشتقات الضرب ، وتعد إحدى الخصائص الفارقة التي يتميز بها المثل القرآني عن غيره من الأمثال غير القرآنية فمشتقات الضرب تتضمن تنشيطًا خاصًّا للذهن وتنبيها قويًا على أهمية مضمون المثل ، وتثير إيحاءات حسية تتصل بالجسد ، وإيحاءات معنوية تصل بالقلب وكذا تتصل في دلالاتها الهامشية بتجارب المتلقي ومشاهداته وفلسفته في الحياة [28] ، ففي العبارة الخطابية ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً** ﴾؛ إذ إن هذه العبارة ـ على قصرها ـ تشــير إلى وجود راويين هما: الراوي الفعلي وهو الراوي الحالي الذي ورد الحكي على لسانـه، والراوي الافتراضي الذي يفترض به قص الحكي ذاته في زمن لاحق لزمن الحكي ، ومن هنا أخذ الراوي على عاتقـــــه وظيفة التنبيه والتواصل الذي عزز به جذب انتباه المروي له ، وذلك عبر أساليب ندائية أو خطابية له عن نحو صريح أو ضمني [29] ، ومن خلال هذا التشكل التبئيري تتضح لنا العناصر التاليــة :

الوظائف : الرسالة / الجحود والكفر . العقاب

العوامل : الممثلون / المرسلون / أصحاب القرية / الرجل المؤمن .

المكان : القرية / أقصى المدينة

الزمان : الماضي كما يدل عليه السياق ولا علاقة للزمن هنا بأحداث القصة

الحوار : وهو يمنح النص السردي ها بعدا مشهديا ودراميًا.[30]

فالحوار " من الوسائل السردية الأساسية لفنون القص ، فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بمستويات الاتصال بين الشخصيات والعمل والقصص والمتلقي ، ويســـهم بشكل فاعل في عملية التواصل السردي ، حيث تتبادل الشخصيات وتتعاقب على الإرسال والتلقي ، كما أنه يمتاز بدينامية العالية وعرضه للشخصيات والأحداث بحيادية " [31]، مما " يفتـــــح المجال واسعًا أمام المتلقي لمعرفة ما نريده الشخصية وما تستشرقه ، وكذلك معرفة الأفكار المتطلعة إلى المستقبل التي تحملها القصة في سياقاتها السردية بطريقة لا وساطة فيها للسارد ،مما يقوي وهم الحضور" [32] لدى المتلقي في الزمن الحاضر للقصة في نقطة تتوسط الماضي والمستقبل ، أي: ماضي الشخصية ومستقبلها الذي تستشرقه ، ويضاف إلى هذا التشكيل عنصر التصوير حيث جمع السياق تنوع الصور بين الحقائق الدنيوية والأخروية ، وما ينشأ عن تفاعلها من روابط وعلاقات تتصل بالوظيفة الدلالية والنفسية للصورة الفنية لهذا المثل.

يقول سيد قطب :" يجب أن نتوسّـــع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القــرآن ، فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل ، كما أن التصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل ، وكثيرا ما يشترك في الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تملأها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة وخطوط جامدة ، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس أدمية حية أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة" (33)

فعلى الرغم من هيمنة الحوار على النص ، فهذا لم يمنح حقيقة المحاصرية السردية ، التي وجهت ذلك الحوار عند أوله وآخره ، ليتجلى التبئير الداخلي فيه ، عبر استثاره بالصيغتين معا : الراوي الفعلي ، والراوي الافتراضي ، فلم يكن السرد مقتصرا على تبئير بعينه ، ولا على العرض كذلك ، وكل الأمر أن ثمة تبادل للموقع بين المبئر والمبأر ، إبان الانتقال من التأطير السردي في المؤطــر الحــواري(34).

فالراوي ليس مجرد مشارك في الأحداث ؛ وإنما هو الموجه الرئيس للأحداث ؛ لأن هذا التصريح المباشر من الراوي إلى القاريء حسم الصراع الدائر بعد ذلك على شكل حواري منذ البداية ، والمتمثل في إنزال الرسل ، والذي هو محور هذا الصراع ، وهو ما يظهر بجلاء بعد قول الطرف المعارض لما جاء به المرسلون في قوله : ﴿ **وَمَا أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ**﴾ ، وهنا تكمن المفارقة ، لا من خلال التسليم بوجوده فحسب ، وإنما بإلصاق صفة الرحمة به ، في الآن ذاته الذي تم إنكارهم هم إرساله الرسل فيه. وبذلك يقــوم السرد القــرآني بتوضيح الفكرة ونقل الدلالة إلى المتلقي بطرق وتقنيات متعددة ، فاستخدام تقنية الحوار الذي كان بين الأطراف والشخصيات ، فدخلت الشخصية في حوار ذاتي تحقق من خلال الشخصية (الرجل الســـاعي) بكلام ، وذلك من خلال المهام التبئيرية المزدوجة التي قام بها والممكن توضيحه بالجدول التالي (35)

الرجل الساعي فاعلا داخليًا	الرجل الساعي فاعلا ذاتيا
ياقوم اتبعوا المرسلين	أأتخذ من دونه آلهة
اتبعوا من لايسألكم أجرا	إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون

وهم مهتدون	إني إذا لفي ضلال مبين
	إني آمنت بربكم فاسمعون
	ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
	ومالي لاأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون

ففي هذا السياق الحواري نقلت الحقائق دون تشويه أو تحريف ، وكأن المتلقي يسمع ويرى الحوار الأول قدمته من نصائح لإظهار الإيمان ، إلا أن هذا الطلب يمثل اعترافا صريحا بإرسال الرسل ، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وإضافة إلى ذلك ورود الاستفهام في سياقات الحوار والجدل ، مما زاد في كثافة المثل الحكائي ، وإقامة المقارنة والموازنة وترك الحكم للعقل .

أما المضمرات في هذا المثل الحكائي فتمثلت في : أسماء القرية ،أو المدينة موقعها (البلد) أسماء المرسلين ، اسم الرجل المؤمن ، والزمن المحدد للأحداث ، والموت والحساب، والعقاب والثواب، والجزاء والجنة .

ويلحظ أن الإضمار هنا جاء بمثابة قصة خالصة تتعالى على الزمان والمكان فكان هذا المثل تعرية للبنية السردية العميقة المنتجة لمختلف بنى السرد في القرآن الكريم ، ومن خلال الآيات نستنتج التالي:

النتائـــــــــج :

1_ إن المخاطب في هذه الآية ناكر ، فأرسل بآيتين فلم يقتنع فأرسل إليه بثالث حتى يؤكد ما أراد أن يثبته في عقله.

2_ ومن خلال هذه الآيات نستنتج أن المخاطب كان خالي الذهن من جهة وناكرا من جهة أخرى ، وهذه ميزات أسلوب التوكيد.

3_ البنية السردية في القرآن الكريم بنية عميقة يفهمها كل حسب مقدرته العقلية وهذه ميزة المثل القرآني.

4_ يلحظ في المثل القرآني قلة وروده بمعنى (القصة) التي ترد كاملة الأركان ، بل ربما لم ترد كذلك إلا في قصة أصحاب الجنة هذه، وقصة أصحاب الجنتين .

5_ وبهذا نلحظ تبادل الرؤية من رؤية إلى أخرى باعتبار أن التبئير يحقق الترابط بين الراوي المفعل للخطاب وبين الرائي الذي تطرح رؤيته أمام المروي لهم .

الهوامـــــــــــش:

1- المتخيل السردي (مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة) ، عبدالله إبراهيم (المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 1990م) ، 51.
2- السردية العربية ، عبدالله إبراهيم (المركز العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1992م)12 .
3- ينظر: زوايا الرصد في المشهد السردي ، إيناس البشير الطاهر ، 11و 12 .
4- الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي ، هيثم الحاج علي ، 49.
5- معجم المصطلح نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، 151.
6- السردية العربية ، 12.
7- تحليل الخطاب الروائي ، 37.
8- المتخيل السردي ، 61.
9- شعرية الخطاب السردي (محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،2005م)11 ،
10- بنية الشكل الروائي ، 213.
11- ينظر: خطاب الحكاية ، جيرار جنيت ، 200. .
12- سورة البقرة ، الآيتان (213- 214)
13- ينظر: الإشارة الجمالية في المثل القرآني ، عشتار داود محمد ، 165.
14- انفتاح النص الروائي ، سعيد يقطين (المركز الثقافي العربي ،ط3) ، 148.
15- ينظر: المصحف المفسر ، فريد وجدي ، 42.
16- ينظر: الإشارة الجمالية في المثل القرآني ، 159.
17- ينظر : المصدر السابق، 168.
18- ينظر : دلالات الاستفهام بالهمزة وهل في السياق القرآني ، سالم بيدق ، 220.
19- ينظر : المصدر السابق ، 30.
20- أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن ، هديل محمد عطية ،و يوسف المنيراوي (رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ،غزة ،2009م) 172..
21- فراغات النص بين سلطات المؤلف والقارئ بحث للدكتور : حسين خليفة الرميح (مركز البحوث والدراسات العليا ، جامعة الزاوية ، العدد :8، 2006)40. .
22- المصدر السابق ، الموضع السابق
23- ينظر: نظرية الرواية ، السيد إبراهيم ، (دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ،1998م) ،132
24- ينظر: الراوي والنص القصصي ، عبدالرحيم الكردي ، 18.
25- الراوي الموقع الشكل ، يمنى العيد ، 24.
26- سورة يس ، (13- 30)
27- ينظر: فاعلية المشتقات في البنية الأسلوبية للسياق القرآني ، حسين خليفة ، 172.
28- ينظر: الإشارة الجمالية في المثل القرآني ، 196.
29- المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث ، أحمد رحيم خفاجي (رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، 2003م) 110.
30- جمالية التلقي في السرد القرآني ، يا دكار لطيف ، (دار الزمان ،دمشق ،ط1، 2010م) 76.
31- الزمن والرواية تريمكر عباس (مراجعة : إحسان عباس، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط1) 132.
32- التصوير الفني في القرآن ،37.
33- ينظر: الإشارة الجمالية للمثل القرآني، عشتار داود، 168.
34- ينظر: المصدر السابق، 169.
35- ينظر: المصدر نفسه ، 170.: